

أضواء البيان

@ 387 غير هذا الموضع . كقوله : { وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ
الْحَرثِ وَالْأَشْجارِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا
لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ
لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } وذلك أن الكفار
كانوا إذا حرثوا حرثاً ، أو كانت لهم ثمرة جعلوا ١١ منها جزءاً ، وللوثن جزءاً . فما
جعلوا من نصيب الأوثان حفظوه ، وإن اختلط به شيء مما جعلوه ١٢ رده إلى نصيب الأصنام ،
وإن وقع شيء مما جعلوه ١٣ في نصيب الأصنام تركوه فيه . وقالوا : ١٤ غني والصنم فقير .
وقد أقسم جل وعلا : على أنه يسألهم يوم القيامة عن هذا الافتراء والكذب وهو زعمهم أن
نصيباً مما خلق ١٥ للأوثان التي لا تنفع ولا تضر في قوله : { تَاللَّهِ لَتَسْأَلُنَّ
عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ } وهو سؤال توبيخ وتقريع . قوله تعالى : { وَيَجْعَلُونَ
لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهِ وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُونَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ
بِإِلَآءٍ نُنْثَىٰ طَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ
سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } . قوله : { وَيَجْعَلُونَ } أي يعتقدون . ذكر جل وعلا في هذه
الآية الكريمة : أن الكفار يعتقدون أن ١٦ بنات إنثاءً ، وذلك أن خراة وكنانة كانوا
يقولون : الملائكة بنات ١٧ . كما بينه تعالى بقوله : { وَجَعَلُوا الْهُمَ لَآئِكَةً
الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً } . فزعموا ١٨ الأولاد ومع ذلك زعموا له
أخس الولدين وهو الأنثى ، فالإنث التي جعلوها ١٩ يكرهونها لأنفسهم ويأنفون منها كما قال
تعالى عنهم : { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِإِلَآءٍ نُنْثَىٰ طَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا }
أي لأن شدة الحزن والكآبة تسود لون الوجه { وَهُوَ كَظِيمٌ } أي ممتلئ حزناً وهو ساكت
. وقيل ممتلئ غيظاً على امرأته التي ولدت له الأنثى . { يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ
سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ } : أي يختفي من أصحابه من أجل سوء ما بشر به لئلا يروا ما هو
فيه من الحزن والكآبة . أو لئلا يشتموا به ويعيروه . ويحدث نفسه وينظر : { أَيُمْسِكُهُ
} ، أي ما بشر به وهو الأنثى { عَلَىٰ هُونٍ } أي هوان وذل . { أَمْ يَدُسُّهُ } في
التراب : أي يدفن المذكور الذي هو الأنثى حياً في التراب ، يعني ما كانوا يفعلون
بالبنات من الوأد وهو دفن البنت حية ، كما قال تعالى : { وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ
سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ } . .

وأوضح جل وعلا هذه المعاني المذكورة في هذه الآيات في مواضع آخر ، فبين أن